عمليات عسكرية لاعطاء صورة عن هذه الاوضاع التي تلقى تعتيما اعلاميا رهيبا .

في يونيو الماضي وبمناسبة عيد الثورة الثالث عشر قامت مجموعة من قوات جيش التحرير الشعبي في الساعة التاسعة من مساء الاول من يونيو بمهاجمة سيارة باص تابعة لما يسمى بالسلاح الجوي السلطاني التي كانت واقفةبمحاذاة (خور روري) الساحلي الى الشرق من مدينة طاقة الواقعة شرقي مدينة صلالة ، وامطرتها بنيران الاسلحة الاوتوماتيكية والرشاشة المتوسطة، وكانت نتيجة العملية مقتل ستة من الضباط البريطانيين العاملين في قاعدة صلالة وثمريت الجويتين والاستيلاء على جثثهم وهوياتهم الشخصيه والوثائق التي تدل على مكان عملهم وجنسياتهم .. واستولي على اجهزه تصوير مع افلامها وبوصله وبعض المعدات العسكريه الاخرى.

وكانت قد سبقت هذه العمليه ، عمليه اخرى في غرب القطاع الاوسط ، حيث تم نصب كمين لضابط بريطاني شمالي مدينه صلاله ، وقد قتل الضابط البريطاني المذكور .

وفي هذا العام امتدت العمليات العسكريةلتشمل القطاع الغربي حيث اجريت عدة عمليات زرع الغام . ففي بداية العام تم زرع لغمين ارضيين مضاد للدبابات في الطريق الرئيسي شمال المنطقه الغربية ، وانفجرت الالغام في سيارة عسكرية من طراز بيد فؤرد محملة بالجنود ، كانت ضمن قافلة من السيارات . وزرعت المنطقه مرة اخرىبالالغام لتنفجر في القافلة وهي في طريق العودة . ولقد ادت هذه العملية الى تدمير سيارتين تدميرا كاملا، وتم اصابة وقتل ١٢ فردا من القوات الفابوسية .

والسجون ملأى كالعادة

ان هذه الاوضاع ، وتحديدا حالة الاغتيالات والوضع العسكري المتنامي وان كان ببطء الا انه يعطي صورة واتجاها معينا لمسار الاحداث الواقعي في عمان رغما عن ادعاءات السلطة . وحينما اتى قابوس اعلن انه سيطلق سراح جميع المعتقلين وانه سيغلق جميع السجون وفي مقدمتها السجن البرتغالي الرهيب « كوت الجلالي » . واليوم وبعد مجيء قابوس بثماني سنين ، لا تزال السجون وفي مقدمتها « الكوت » ملأى بالمعتقلين الذين يبلغون بالمئات . وقبل اشهر معدودة اعلن قابوس عن نيته في اطلاق سراح المعتقلين ، وانتظر الناس الوعد السلطاني . وخرج المحدود من المعتقلين الجنائيين .

وتستمر الاعتقالات ، وتتفشى في اوساط الذين صدقوا اطروحات قابوس وتركوا صفوف الثورة ، ونزلوا للمدن الساحلية . ولكن قابوس قام باعتقالات عديدة في اوساطهم انطلاقا من اعتقاده بانهم مرسلون من الجبهة بقصد التسلل في اوساط قواته . واستمرت الاعتقالات لتأخذ شكلا اخرا متمثلا في قيام ذوي النفوذ في الاوساط الحاكمة بعكس تناقضاتها في هيئة اتهامات متبادلة لقابوس حول اتهامات الاتباع ورفع التقارير عنهم مما يؤدي الى زج العديد من هؤلاء في السجون .

« النظام بين مختلف اقاليم عمان »

منذ مجيء قابوس اضطر لاعطاء ظفار اهتماما خاصا وذلك بهدف توجيه ضربته الاساسية الى موقع الثورة ومركز انطلاقتها . وهكذا وجهت الميزانية للصرف على الشؤون العسكرية بشكل اساسي وكذلك للصرف على ما قيل انه تنمية لظفار . وكان ذلك يتم بمعزل عن رؤية الحجم السكاني والجغرافي لظفار نسبة الى بقية الاقاليم، واستهدفت هذه الاجراءات فيما استهدفت اضافة الاقتتال والتناحر الاقليمي الى التناحرات القبلية للتغطية على التناقض الاساسي والذي يجب التركيز عليه وهو بين الشعب العماني بمجموعه وبين العدو الاجنبي وتحديدا العدو الايراني . وفي يوم من الايام تقدم مشايخ داخلية عمان بشكوى رسمية الى طارق بن تيمور عم قابوس ومستشاره ورئيس الوزراء السابق . ولقد تضمنت الشكوى امتعاضا من تصرفات قابوس والتي بدا وكأنها انحيازا لابناء الاقليم الجنوبي . استمع اليهم طارق ثم رد عليهم « هاذول هم اللي هزو النخلة » وهذا مثل عماني يقصد به ان احق الناس بثمار النخلة ، هو من يقوم بهز جذعها .

في هذه الفترة اخذت هذه المسألة طابعا اخرا ، فعبر الصراع على الوكالات الاجنبية والمقاولات الحكومية اخذت تتبلور مراكز قوى اقتصادية . فعبدالمنعم الزواوي يتزعم تكتلا اقتصاديا يحاول ان يجير كل المقاولات والعطاءات الحكومية لصالحه ولقد جمع حوله الوزراء والمسؤولين من مختلف مناطق عمان عدا الوزراء من الاقليم الجنوبي . واخذوا يطرحون لقابوس تشككهم من ولاء الاقليم الجنوبي ، واخذوا يطرحون لقابوس ان هذا الاقليم لا امان له وان الضربة لقابوس ستاتي له من هذا الاقليم الذي كان في اصطدام وثورة مستمرة ضد ال بوسعيد منذ القرن الماضي .

يقابل تكتل وزير الخارجية ، تكتل وكيل الوزارة يوسف العلوي . ويوسف العلوي هو من الاقليم الجنوبي وله ارتباطاته الواسعة والمشبوهة بالدوائر الامريكية . ويتزعم تكتل من عبدالحافظ رجب هو وزير سابق والشنفري ، وهو وزير حالي . وهم جميعا من ابناء الاقليم الجنوبي . هؤلاء ايضا يحاولون استغلال مناصبهم لتحقيق مكاسب اقتصادية . ويرتكز طرحهم السياسي لقابوسعلى كون انتساب امه الى اكبر قبيلة في الاقليم الجنوبي ، وهي بيت المعشني . وان هذه القبيلة هي التي ستقف معه في النهاية وانها قادرة على تكتيل كل قبائل الاقليم الجنوبي .

قابوس حائر في هذه الفترة . فهو يود الاعتماد على داخلية عمان بحكم وزنها البشري وتاريخها القتالي والتاريخي في حياة عمان وبالتحديد في القرون الخمسه الماضيه . الا انه يواجه مصاعب لا اول لها ولا اخر . فداخلية عمان بحكم ماضيها وعظم اتساعها وكثافتها البشرية تبرز بها التناقضات والروح العدائية للسلطة الفابوسية والبوسعيدية بشكل حاد ومعقد ومما لا يمكن حله بسرعة وبسهولة . واذا اضفنا الى ذلك اهمال السلطات بهدف اذلال المشايخ . والشعب هناك ، ورغبتها في توتير الشعور الاقليمي . ولكن الداخل متمسكا تمسكا قويا بالدين وحيث الروح الدينية الاباضية عالية ، فان غياب الامام غالب بن علي في السعودية منذ عشرين عاما وعزوفه عن العودة . كل هذه العوامل تجعل امكانية قابوس في الحركة في اوساط عمان الداخل محدودة.

يجرب قابوس وباستمرار محاولة الاستفادة من قرابته العائلية من قبيلة بيت المعشني . ولقد دفع هذا العام بوالدته المدعوة ميزون لتجميع سائر المشايخ في الاقليم الجنوبي لاقامة مجلس قبلي وقد بدأت باستدعاء المشايخ من ال المعشني . ورغم الاجراءات والاغراءات الا ان الفشل كان نصيب التجربة حيث لم يبد المشايخ الحماس المطلوب .

وحاول قابوس تجميع سائر الفرق القبلية ضمن الجيش الرسمي . الا ان الروح القبليه والتي عمل هو نفسه على استثارتها باشاته هذه الفرق كمحاوله لتفكيك جيش التحرير الشعبي الذي كان يضم افرادا من سائر القبائل . ولقد رفضت الفرق كلها هذه المحاوله . ولا تزال محاولاته لاستكمال الفرقه المسماه بـ « فرقه قابوس الخاصه » تواجه الفشل . ولا يكاد ينقضي شهر لا تحدث فيها اعتقالات بسبب تهلهل حاله الانضباط فيها رغم انه حاول ان يجعل منها فرقته الخاصه فعلا، تكون ملجاه وقت الشدائد . ولقد حاول التخلص من هم هذه الفرقه وبقيه الفرق القبليه ، فارسلها في حملته المزعومه ضد راس الخيمه بهدفاستعادة الاراضي العمانيه . وهكذا تحركت ١٠ سيارات عسكريه ضخمه محمله بالرجال الى حدود راس الخيمه ، لكن ما ان مر اسبوع على تواجد اعضاء الفرق على حدود راس الخيمه حتى تفجرت التناقضات في اوساطها وعمت المطالبة بالعودة . ومرة اخرى عادت النزعات الاقليمية في البروز.

القوات الايرانية : الهزيمة مصير الغزاة

فبعد الازمه التي ارهبت النظام والمتمثلة في افلاس الخزانة العامة بعد ميل الانتاج البترولي لقمته ، تم اكتشاف كميات من النفط الجيد في حقل مرمول في شرق ظفار . وبدون النفط المكتشف حاليا فان عمان هي البلد النفطي الاول الذي يواجه امكانية حقيقية في نضوب انتاجه من النفط . ولكن ما ان اعلن عن اكتشافه حتى برزت النزعة الاقليمية وفي اوساط انصار النظام انفسهم . بل ان هذه النزعة لم تختف منعقولهم يكيفونها حسب تطور الاوضاع وترتفع الدعوةلطرح مسالة بترول ظفار « لابنائها » .

وسط هذه الاوضاع يعيش النظام ازمات حادة . فاكتشافات النفط في ظفار لم تاخذ حتى الان مجراها العملي . وتكتنفها المشاكل منذ طرح اخبارها . ولقد عاش النظام فضيحة ماليةحقيقيه حينما اعلنت صحيفة السياسة الكويتية عام ٧٦ افلاس عمان ، مما سبب ارباكا لها في اوساط البنوك العالمية . اما مستشار السلطان للشؤون الاقتصادية فقد اعلن في كتاب اصدره في لندن العام الماضي ان عمان ستواجه ازمة في المياه سنة ١٩٨٠ . ولم يعرف بعد سر هذا الطرح وهل هو طرح حقيقي اما هو عبارة عن مقدمه البدء في سياسة دهورة الزراعة في عمان . وتفشى الفساد في اوساط الحكم واضطر النظام الى الاطاحة ببعض الرؤوس وفي مقدمتهم والي ظفار الذي قام باختلاس المرتبات المرسلة لموظفي الدولة ، وازاء النقمة الواسعة اضطر قابوس الى معاقبته بنفيه الى لندن !!! وبعد تطورات الاحداث في ايران وموجة الهلع التي سرت في الخليج قام السلطان بعمل لقاء مع موظفي الدولة للحديث عن ضرورة الاهتمام بالمواطن والوطن واهمية التمسك بالنزاهة والاخلاق الفاضلة . الا ان الوزراء والمسؤولين كانوا يعرفون المعاني الحقيقية لهذه المحاضرة . ولذلك ما ان اعلن النظام عن انشاء وزارة الكهرباء والماء حتى برز الى الوجود شركة باسم « شركة الكهرباء الوطنية » غرضها تشغيل اية محطات كهربائية تعهد بها لها الحكومة . وعلى رأس المؤسسين وزراء التجارة (مؤسسة الزبير) والخارجية (شركة الزواوي للتجارة) وزير الشباب وعم السلطان (فهد بن تيمور) والديوانالسلطاني (احمد بن حمود) والاراضي (عاصم الجمالي) والصحة (مبارك الخضوري) والزراعه والثروة السمكية والبترول والمعادن (سعيد الشنفري) ووزير الداخليه (محمد بن احمد) وزير الدولة وبالطبع والي ظفار (بريك بن حمود) .

المزيد من العزلة الخارجية

وتضاف الى كل هذه الاوضاع الازمة التي تمر بها علاقات السلطنة الخارجيه . لقد كان السلطان يطرح ان واحدا من اسباب مجيئه هو جو العزله التي فرضها السلطان السابق على السلطنه . الا ان العلاقات الخارجيه قد اخذت في التقلص والانكماش . فالسلطنه تشن حمله صليبية ضد الدول الاشتراكية والاتحاد السوفياتي . وفي المجال العربي فلقد ايدّ قابوس مبادرة السادات ونتائج كامب ديفيد قبل ايه دوله عربية اخرى . وبدلا ان يستفيد النظام من ذلك ازداد جو العزلة الذي يحيط به . واضافت استفزازاتها لليمن الديمقراطية باستفزازات على حدود اتحاد الامارات العربية . وحتى الحليف القريب للغاية وهو ايران فانه يعاني من الازمات التي تتوالى يوميا .

ولقد كان لحوادث الحدود مع رأس الخيمة دورها في تأزيم العلاقة مع مجموع الدول العربية التي تحيط بالخليج العربي . ورغم ان العديد من الصحف قد اظهر وكأن مشكلة الحدود مع رأس الخيمة مرتبط بصراع على البترول وعلى اراض متنازع عليها الا ان حقيقة الامر مختلف تماما عن ذلك . فرأس الخيمة وبقية الامارات والسلطنة كانت تشكل كلا واحدا . مع استيلاء احمد بن سعيد على السلطة في منتصف القرن الثامن عشر بدأ بعض الشيوخ في التململ واعلن التكتل القاسمي استقلاله عن بقية المنطقة . الا ان ذلك كان يحدث بشكل عادي حسب قوة السلطة المركزية وشيوخ القبائل . الا ان الانجليز وعلى اثر حملتهم ضد هذا التكتل (وقد اشترك معهم السلطان انتظارا للحصول على مكافأة انكليزية) قاموا بتثبيت ستة مشايخ لمشيخات ابرزت الى الوجود . الا ان بريطانيا عادت فاعطت سعيد بن سلطان منطقة رؤوس الجبال وذلك على الطريقة البريطانية في زرع الالغام . وهكذا اضحت الامارات المتحدة حاليا تفصل بين جسم السلطنة الاساسي وبين منطقة رؤوس الجبال . ورغم محدودية المنطقة مساحة وموارد الا انها تشكل الجانب العربي على مضيق هرمز ويشرف مباشرة على الجانب الصالح للملاحة . ومع التدخل الايراني الاخير ، اصبح المضيق بجانبيه خاضعا لايران واضحت البحرين وقطر والكويت تحت رحمة ايران في كافة صادراتها وارداتها والى نسبة كبيرة العراق وكذلك السعودية الى حد ما . ولقد فكرت هذه الدول مجتمعة ان تمد خط حديدي على امتداد ساحل الخليج مخترقا اتحاد الامارات ومنتهيا على ساحل الاتحاد الواقع على خليج عمان ، واقامة ميناء هناك كبداية لحل هذا المعضل الرهيب . وتمت الموافقة عليه من كل الدول الخليجية عدا السلطنة . ويقال ان المشروع قد وضع موضع التنفيذ وان مجلس الوزراء الكويتي رصد مبلغ ١٥٠ مليون للمشروع وبدأ في التنفيذ خاصه وان موافقة السلطنة غير ضرورية حيث لا يمر الخط بأي من اراضيها . وحينما احست ايران والسلطنة بذلك اندفعتا للقيام بعمليات المناوشة ضد رأس الخيمة وايهام العالم بان السبب هو البترول ومشاكل حدودية . الا ان ما تطالب به السلطنة ومن وراء الكواليس هو السيطرة على طول الشريط الساحلي لاتحاد الامارات والواصل بين رؤوس الجبال وساحل الباطنة في عمان السلطنة . ويقال ان امارة الفجيرة الفقيرة للغاية والواقعة على ساحل عمان موافقة فعليا على الانضمام للسلطنة . وهكذا كانت الضربات شمالا تستهدف الحصول على مواقع في الجنوب . قابوس اعلن لزايد انه يعتبر الامارات مناطق عمانية وانهم اذا ساعدوا الاتحاد سابقا فذلك ليس لانه يعترف به ، والدليل انه لم يفتتح سفارة ولم يعين سفيرا . وهكذا كتبت نهاية للمشروع الوحدوي العربي وحققت ايران انتصارا هائلا تم وسط تعمية اعلامية ، ولكن بطريقة لا تلفت الانظار ابدا .